نظم أموره على عادات يصعب تغييرها، يشترى الصوف من معرض أحمد حلاوة بميدان العتبة، ويذهب به إلى خياط فى شارع عبد الخالق ثروت زبائنه من الوجهاء القدامى، الأدوية من صيدلية رقية بالغورية، قديمة فى موقعها، يكلفه الوصول إليها مشقة بعد تعاظم الزحام، لكنه لا يبدل ولا يتخلف، له أطباء على علاقة وثيقة به، أحدهم متخصص فى الأمراض الباطنية، آخر فى الأسنان، ثالث فى المسالك البولية، بدأ يتعامل مع الأخير بعد تجاوزه الخامسة والأربعين وبدء حصر البول وخروجه بصعوبة فى اتجاهين مع تزايد الطرطشة نتيجة تضخم الغدة الأمامية. وثق علاقاته بهم حتى يتجنب الانتظار فى العيادات، ويلقى رعاية.

الأن.. يستعيد كل التفاصيل عن فيروز، خاصة صلاته الحميمة بالخلق، الإسكافى اليونانى، ناظر محطة سيدى جابر، الجرسونات فى المقاهى، فى جميع الأحوال يفيض حيوية ومودة تجاه من يصحبه، ذات شتاء بارد، وتحت المطر الغزير اكتشف عند وصوله إلى الفندق نسيانه صابونة طبية يحرص على استخدامها عند نزوله الفنادق خشية العدوى من أغطية الأسرّة والمفروشات، أفضى بذلك إلى فيروز، بسرعة اتجه مشيًا وبدون مظلة إلى صيدلية قريبة ليأتى بالصابونة.

لا ينسى له ذلك.

وهل يغفل عن التقارير الإيجابية التى كتبها بعد عودته وإشادته به، والله.. لم يجامل، إنما وصف وقيم طبقًا لما رآه وعاينه، لم يأخذ بما نما إليه من شائعات عن صلات وثيقة بالعاملين فى الميناء من الصعايدة الذين جاءوا من الجنوب واستقروا فى الجمرك، يديرون شركات الشحن